علوم التربية وإشكالاتها الإبستمولوجية

علال خوش

توطئة

علوم التربية ميدان حديث النشأة، لاتتجاوز مأسسته في الجامعات الأوربية ومؤسسات التكوين نصف القرن الأخير... لكنه أثار، قبل ذلك وما زال يثير إلى الان، العديد من الأسئلة المتعلقة ب: التعريف والتأصيل / التسمية/ التعددية/ العلمية/التصنيف/ والعلاقات القائمة بينها كعلوم تربوية/.. لسبب رئيس هو، أنهاعلوم متداخلة، متعاونة، ومنفتحة على ما يستجد من علوم إنسانية أوعلوم دقيقة أخرى، تختلف عنها موضوعا، ومنهجا .. من هنا، وتأسيسا على ما نصت عليه مباحث الإبستمولوجيا المعاصرة من قواعد، نختزلها في كون أي علم كيفماكان نوعه، لابد أن يقوم بشكل عام على ثلاثة مرتكزات أساسية هي : - تحديد جهازه المفاهيمي، وموضوعه، ومنهجه ؛ وأن تتحقق نتائجه بتطبيق أربعة قواعد علمية رئيسة هي: الملاحظة، ووضع الفرضيات، والتجربة، ثم الاستنتاج؛ تثيرعلوم التربية عدة إشكالات إبستمولوجية نختزلها في الأسئلة التالية : - ماهي المفارقة التي تثيرها تسمية علوم التربية ؟ وما مبررتعددية هذه العلوم ؟ وماهي أهم تصنيفاتها ؟ وماحدود العلاقات القائمة بينها ؟ وما مدى

علوم التربية ميدان حديث النشأة، لاتتجاوز مأسسته في الجامعات الأوربية ومؤسسات التكوين نصف القرن الأخير... لكنه أثار، قبل ذلك وما زال يثير إلى الان، العديد من الأسئلة المتعلقة ب: التعريف والتأصيل / التسمية/ التعددية/ العلمية/ التصنيف/ والعلاقات القائمة بينها كعلوم تربوية/.. لسبب رئيس هو، أنهاعلوم متداخلة، متعاونة، ومنفتحة على ما يستجد من علوم إنسانية أوعلوم دقيقة أخرى، تختلف عنها موضوعا، ومنهجا ..

علميتها؟ هذه الاسئلة تستمد مشروعيتها من كونها تعطينا صورة عن ماهية علوم التربية، وتحدد وضعها الإبستمولوجي ضمن العلوم الإ نسا نية الحديثة :

1) أي تعريف وأي تأصيل لعلوم التربية؟

لقد استخدم مصطلح «علوم التربية»Sciences de l'education، بشكل رسمي ولأول مرة، في معهد علوم التربية بجنيف في سويسرا يوم 21 أكتوبر1912،على يد جماعة من الباحثين والعلماء مختلفي التخصصات.. وهي تركيب تداخليبين التربية وعلوم إنسانية ودقيقة مختلفة موضوعا ومنهجا، لكنها متكاملة ومتعاونة فيما بينها لخدمة القضايا التربوية بالدرجة الأولى.. غير أن هذه العلوم التربوية لمتعرف المأسسة في الجامعات ومؤسسات التكوين إلا في سنة1967 بفرنسا وسويسرا وبلجيكا، وستعرف انتشارا واسعا في البلدان الأوربية والأمريكية بعد ذلك ...

هذا، وتتميز علوم التربية، من حيث التسمية، باختلاف الدارسين وعدم اتفاقهم حول تعريف واحد موحد وشامل لها، حيث وردت تعاريفلكل من : (Henri;Marion Maurice.DebesseJean. Château-)، لكن أهم تعريف لهاقدمه أبرز روادها الفرنسيين Gaston;Mialaret، حين قال بأنها : «مجموع الحقول المعرفية التي تهتم بدراسة وفهم الأفعال والوضعيات التربوية ضمن أبعاد مختلفة، لكنها مترابطة ومتكاملة....»(1) بهذا المعنى، فإن من أسباب اختلاف تعاريف علوم التربية وتعددها، تشعب أبعاد ومجالات الظاهرة التربوية التي تشكل موضوعها، وتنوع جهازها المفاهيمي تبعا لتنوع مصادره، واختلاف الدارسين من حيث تصوراتهم ومرجعياتهم وتخصصاتهم ..

وإذا شئنا تأصيلها العلمي ضمن ثلاثية الموضوع/الجهاز المفاهيمي/ والمنهج المعتمد/ المنصوص عليها في إبستمولوجيا العلوم عند Gaston Bachelard/ يمكن القول بأن : - موضوعها هو: دراسة الظواهر والأفعال والوضعيات والمواقف التربوية في مجالاتها المختلفة، وحسب أبعادها النفسية، الاجتماعية، البيولوجية، الديدكتيكية، وغيرها..

- **وجهازها المفاهيمي:** متنوع ومختلف تبعا لاختلاف العلوم الإنسانية والدقيقة التي تستعيرمنها علوم التربية هذه المفاهيم والقواعد والأسس

- **أما منهجها** : فهو عبارة عن مقاربات مستمدة من مختلف العلوم التي انفتحت عليها علوم التربية كعلم النفس، علم الاجتماع، البيولوجيا، التاريخ، فلسفة التربية، والتحليل الإحصائي، وتكنولوجيا التربية والاتصال، وغيرها...

2 -**إشكال التسمية Dénominatio**

إن المفارقة الأساسية الأولى، على مستوى الجهاز المفاهيمي لعلوم التربية، تتعلق بالمصطلح نفسه؛ على اعتبار أن التربية والعلوم مدلولان مختلفان، لكل منهما منطلقاته المعرفية وأساليبه ومناهجه:

فالتربية ممارسة عملية لها موضوع هو تنشئة الطفل، الذي هو إنسان متعدد الأبعاد النفسية، العقلية، الخلقية، الاجتماعية، البيولوجية، التاريخية، والاقتصادية، وغيرها؛ ولها غاية وقصدية تقومان، في الأساس، على فلسفة المجتمع وقيمه وطموحاته، بينما العلم أو العلوم نشاط فكري تجريبي مقنن، يرتكز على القواعد العلمية المذكورة، معتمدا وسائل وأساليب منهجية صارمة من أجل الوصول إلى الحقيقة انطلاقا من التحكم في الموضوع ومتغيراته المستقلة والتابعة، وفصله عن الذات العارفة ... وبالتالي، فإن الجمعبين هذين المصطلحين المختلفين دلالة وموضوعا ومنهجا، يثير من الناحية الإبستمولوجية إشكال التسمية الذي طبع علوم التربية بالغموض والخلط في كثير من الأحيان، وجعل من الصعب على الدارسين تحديد تعريف تام وموحد يشمل جميع الجوانب والأبعاد، أو يشمل أهمها على الأقل ؛ خاصة في ظل اختلاف تصوراتهم وتخصصاتهم.

3 - إشكال التعددية pluralite

يرتكز استخدام علوم التربية بصيغة الجمع على رؤية ابستمولوجية تعتبر أن موضوع هذه العلوم واحد هو التربية، لكن مقارباته مختلفة تبعا لتعدد وتنوع العلوم الانسانية والبحثة، التي تستفيد التربية من نتائجها العلمية، ضمن منظور براغماتي يخدم القضايا التربوية بالدرجة الاولى..

ان هذه الرؤية الابستمولوجية تحيلنا على مفهوم هام في علوم التربية هو التعددية، الذي أثير في سبعينات القرن الماضي من طرف عدد من البا حثين، نذكر منهم الباحث Guy .Avanzini 1976، الذي طرح السؤال التالي: «عندما نعرف علما ما من خلال موضوع ومنهج، فهل يفهم بالنسبة لعلوم التربية أن موضوعها مستمد من علوم مختلفة، وبواسطة مناهج متعددة ؟»[2].

انسؤالا كهذا يبرز خصوصية تداخل المعارف وتعددها في علوم التربية من جهة، الى جانب اشتراكها في دراسة موضوع موحد هو التربية من جهة ثانية .. لكن باستخدام كل علم منها لأدواته وأساليبه المنهجية الخاصة؛ كما

يكشف عن أن تعددية المقاربات العلمية المعتمدة ناتجة عن اختلاف المصادر (علوم انسانية، علوم دقيقة، حقول معرفية كالفلسفة والتخطيط الخ..)

وبهذا المعنى، فالتعددية هي احد اهم عوامل الاغناء في علوم التربية؛ على اعتبار أنها تعمق المام المتخصص فيها بالافعال والتقنيات المعتمدة في علوم مختلفة، وكذا المقاربات المتعددة المعارف للظاهرة التربوية Pluridixiplinaire

غير أن مفهوم التعددية هذا، يثير اشكالا ابستمولوجيا يتعلق بكيفية الجمع بين هذه المقاربات العلمية المختلفة، حتى يكون لعلوم التربية وضع ابستمولوجي منسجم مع خصوصيتها المتداخلة والمتعددة المعارف .. وفي هذا الاطار، اختلفت وجهات نظر علماء التربية، حيث دافع الباحث JacqueArdoino، عن المقاربة المرجعية - المضاعفة Multireferentialite ويقصد بها : «فن الجمع بين معارف غير قابلة للجمع، أي البحث عن التمفصلاتArticulations القائمة بين هذه المعارف، انطلاقا من مبدأ التمييز بين المعارف الضدية، والمعارف المتضادة : فالاولى قابلة للتكامل (المعرفة النفسية، المعرفة الاجتماعية، المعرفة الفلسفية..)، بينما الثانية متعارضة (علم النفس، علم البيولوجيا) .

وفي مقابل هذا، دافع الباحث Edgar .Morin عن ما اسماه مقاربة التركيب complexite، ويقصد بها: «الجمع بين معارف مختلفة ضمن نسيج يوحدها...»[3]، ولتوضيح طبيعة هذا التركيب يمكن تشبيه علوم التربية بزربية مكونة من خيوط ذات ألوان وأشكال هندسية مختلفة، لكنها منسجمة رغم تركيبها المعقد.. وهذا أيضا ما ينطبق على الانسان باعتباره موضوعا مركبا لا يمكن دراسته اعتمادا علىعلم واحد فقط ؛ حيث يفرض تعدد أبعاده النفسية، العقلية، الخلقية، الاجتماعية، الاقتصادية، الفيزيولوجية، والبيولوجية، وغيرها أن تشترك علوم متعددة في دراسته.. وهذا ما جاءت من أجله علوم التربية .

4 - إشكال التصنيف Classification

لقد أثار تعدد علوم التربية وتنوعها لدى الباحثين في الميدان التربوي إشكالية تصنيفها، خاصة في ظل تباين مقاييس التصنيف بينهم، تبعا لاختلاف تصور كل باحث وحاجة معاهد ومراكز التكوين؛ فمنهم من صنفها حسب الجوانب المستهدفةفي الشخصيةخلقية، نفسية، جسمية، سيا سية، وغيرها..)، ومنهم من قام بتصنيفها حسب الأطراف المشاركة في العملية التربوية (مقررونإداريون ، مدرسون، تلاميذ(ت)؛

كما أن بعضهم صنفها حسب المناهج والطرائق المعتمدة في المقاربة التربوية، أيا كان نوعها (تحليلية، تركيبية ، إدماجية، الخ) .. وتتعدد هذه التصنيفات إلى ما يزيد عن سبعة عشر تصنيفا، حسب جرد قام به الباحث الاسباني G.AretioLorinz سنكتفي بذكر ومقارنة ثلاثة تصنيفات أساسية منها، هي:

- تصنيف (Guy .Avinzini 1983)، وتصنيف كلية علوم التربية بالرباط (G.Mialaret 1998) ثم تصنيف (1987[4]).

1-4 - تصنيف Guy.Avanzini

اقترح هذا الباحث سنة 1983 تصنيفا قام باشتقاقه من تعريف لعلوم التربية كان قد وضعه M.Clausse سنة1967، مفاده أن: «علوم التربية هي مجموع الحقول المعرفية التي تجسد منجهة تعددية واختلاف جوانب حقيقة الفرد الجسدية، البيولوجية ، النوعية Racial ، كما تجسد من جهة ثانية، الشروط الحضارية، المجتمعية، والإيديولوجية التي يتحقق ضمنها أو في إطارها الفعل التربوي.. وهي أيضا تجسد التقنياتوالوسائل التي تتيحها هذه الحقول المعرفية لدراسة وتحليل هذا الفعل التربوي.»[5] يحيلنا هذا التعريف إلى أربعة مؤشرات أساسية، هي:

- الإنسان كحقيقة مركبة
- الوسط التربوي (المؤسسات المجتمعية، الأسرية، والتعليمية)،
- الفعل التربوي،
- ثم وسائل وتقنياتتحليل هذا الفعل التربوي..

ويقتضي كلعنصر من هذه العناصر تدخل مجموعة من العلوم، وزع الباحث G Avanzini. تصنيفه لهاإلى ثلاث فئات ، هي:
أ)-العلوم الدارسةلأفكار الإنسانوالمؤسسات التربوية (من الناحية الدياكرونية: تاريخ التربية، ومن الناحية السانكرونية : التربية المقارنة، جغرافية التربية، اقتصاد التربية، وسوسيولوجيا التربية

(ب)- العلوم الدارسة للتربية كموضوع على أساس الجمع بين مقاربتين أوأكثر، كالبيونفسية، والبيوبيداغوجية، والسيكوبيداغوجياج)- العلوم الديداكتيكية العامة مثل (مناهج التربية، تكنولوجيا التربية، الد يسيمولوجيا(علم دراسة أسئلة الامتحانات وتقويمها ... / والديدكتيكية الخاصة التي تتعلق بتدريسية مختلف المواد الدراسية داخل المؤسسة التعليمية...

ولبيان هذا التصنيف الثلاثي، يمكن صياغته في الخطاطة التالية :

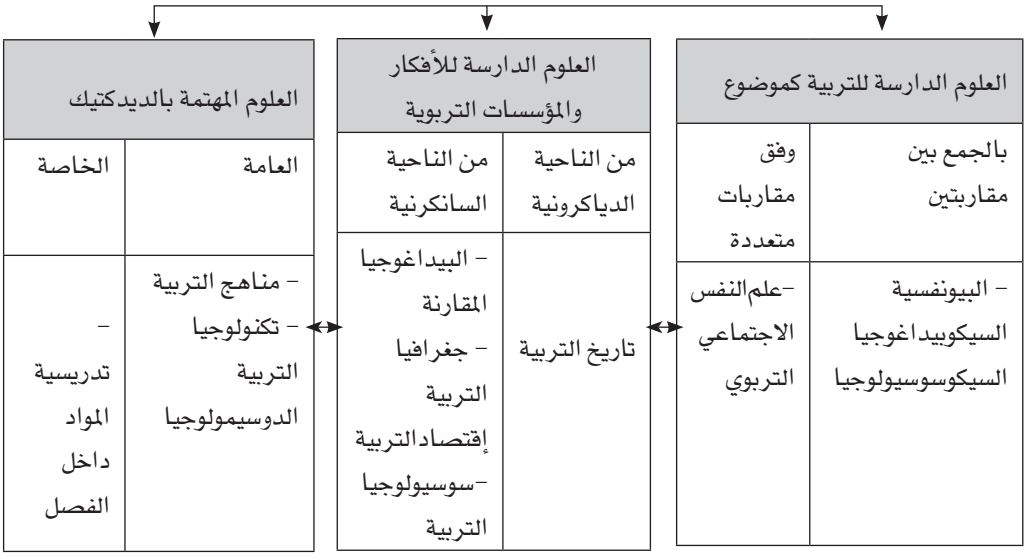

يعتبر هذا الباحث أن العلاقة بين هذه الفئات الثلاث علاقة تكاملية ومستمرة على الدوام، حيث تقتضي دراسة أفكار الإنسان والمؤسسة التربوية على مستوى الفئة الأولى، تدخل علوم التاريخ والجغرافيا، الاقتصاد، وعلم الاجتماع.. كما تتطلب الفئة الثانية الجمع بين علوم مختلفة كالبيولوجيا، علم النفس، البيداغوجيا، وعلم الاجتماع.. بينما تحتاج الفئة الثالثة إلى الاعتماد على علوم مثل الرياضيات واللسانيات.. من أجل تحديد تقنيات ووسائل تحليل الفعل التربوي، سواء على مستوى مناهج وطرائق التدريس بصفة عامة، أو المتعلقة منها بالمواد الدراسية بصفة خاصة

1-4- مقارنة واستنتاج

يتبين من خلال توزيع فئات هذا التصنيف خلوه، على مستوى الفئة الأولى، من العلوم السياسية والإدارية، لأن الباحث لم يدمج الوسط التربوي ضمن هذه الفئة ..كما تخلو من الفلسفة والتخطيط التربوي، لأنهما، في تصوره، لايمتلكان الوضع الذي يميز العلوم، بل هما مجرد عمليات تأ ملية عقلية للفعل التربوي ... ويلاحظ كذلك، على مستوى الفئة الثالثة، أنه يعتبرالديدكتيك علما دون أن يحدد العلوم التي تتخذه موضوعا للدراسة؛ كما يربط هذا الديدكتيك بالديسمولوجيا، والواقع أن هذا الأخير كان ينبغي أن يجد لنفسه مكانا داخل علوم التقويم. Evaluation ورغم ذلك، لايخلوهذا التصنيف من أهمية، لكونه يوضح مجموعة من المعايير والمبادئ التصنيفية التي ترتكز عليها علوم التربية كأساس منهجي لتحديد ها كمعارف علمية، وتمييز العلاقات القائمة بينها..

4 - 2 - تصنيف كلية علوم التربية بالرباط

(1987) تعتبركلية علوم التربية في المغرب من أبرز الكليات العربية الإسلامية، التي راكمت خبرات معرفية ومنهجية في ميادين التدريس والتأطير والبحث الأكاديمي، وذلك نظرا لباعها الطويل الذي بدأ بتكوين أساتذة التعليم الثانوي التأهيلي، واتجه، منذ منتصف ثمانينات القرن الماضي، إلى تكوين أساتذة باحثين في تخصصات تربوية متنوعة لنيلشهادات مختلفة كالشهادة المعمقة، ودبلوم الدراسات العليا، ودكتوراة الدولة، والد كتوراه الوطنية في علوم التربية، ثم الإجازة والماستر المهنيين مؤخرا .. إلى جانب تداريب أخرى في اللغات والتواصل، وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وتكنولوجيا التربية والإحصاء وغيرها.... وتبعا لهذه المهام المتشعبة، تعددت أقسام وشعب التكوين داخل هذه الكلية، مما دفع المشرعين والباحثين إلى وضع دليل للدراسات العليا سنة 1987 يتضمن تصنيف العلوم التربية، تم توزيعه إلى ثلاث فئات من العلوم، هي:

أ)- علوم نظرية : وتشمل كلا من علم النفس التربوي، علم الاجتماع التربوي، ثم الإدارة والتنظيم المدرسيان ..

ب)- علوم مساعدة : وهي تكنولوجيا التربية، الوسائل السمعية- البصرية، الإحصائيات المطبقة على التعليم، والإعلاميات التربوية، لأنها أدوات تمكن الطلبة والأساتذة الباحثين من تطوير كفاءاتهم في البحث التربوي...

ج)- وعلوم تطبيقية : تتلخص في ما يعرف بديدكتيك المواد أو منهجيات تدريس العلوم الدقيقة، العلوم الإنسانية، واللغات.. باعتبارأنها تستهدف تحسين وتطوير كفايات الأساتذة في التدريس، وتعميق إلمامهم بطرائقه ومناهجه ، وأساليبه التقويمية .

ولتوضيح هذه الأصناف الثلاثة من العلوم، نعرضها مختزلة في الخطاطة التالية : [6]

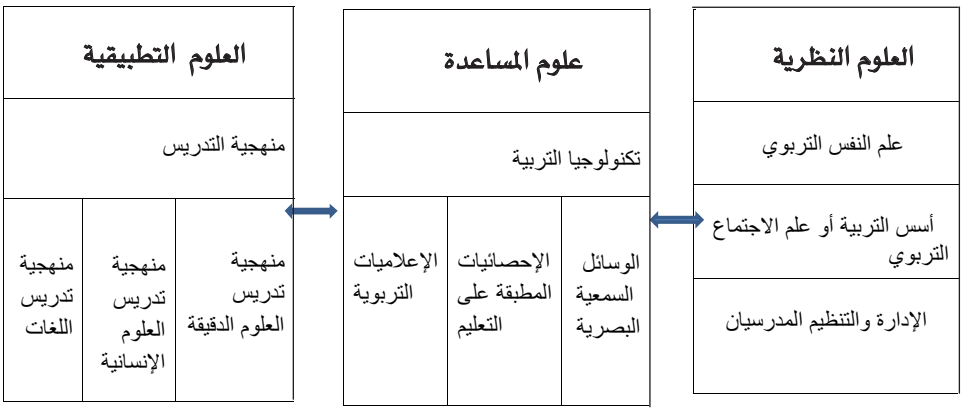

4 – 2–1–مقارنة واستنتاج

يبدو منذ البداية، أن هذا التصنيف يتميز بالإجرائية، لأنه يحدد بدقة مواد التكوين داخل هذه الكلية، ويستجيب لمقتضيات التأهيللتدريس والبحث، التي تدعو إلى تحقيق ثلاث كفايات أساسية هي:

– تمثل الأستاذ والباحث للمعارف المختلفة ذات الصلة بالتربية، وتمكينهما من أدوات تفعيلها، ثم تنمية مهاراتهما العملية من خلال التطبيق الفعلي للمكتسبات في الميدان التجريبي... مما يعكس طبيعة العلاقة التكاملية بين هذه الأصناف الثلاثة من العلوم (النظرية، المساعدة، والتطبيقية) غيرأن ما يلاحظ على المستوى التشريعي، هو عدم وضوح مكانة علم التدريس أوالد يد كتيكالعامة والخاصةداخل تصنيف كلية علوم التربية، هذا العلم الحديث الذي ما زال لم يحدد له موقعا مستقلا، على اعتبار أنه موزع بين جميع الشعب والأقسام.

3 – 4 - تصنيفGaston.Mialaret

لقد اقترح هذا الباحث، بعد تصنيفه المشترك مع Dottrens سنة 1969، تصنيفا جديدا عام 1998 يترجم أكثر منسابقيه مدى التماسك داخل علوم التربية .. ويستند إلى معيارين أساسيين هما : 1) –الاستعمال القصير، أوالمتوسط، أوالطويل لمدى نتائج البحث العلمي ..

2) – وظائف المؤسسة التعليمية التي تنحصر في: وظيفة القرار، وظيفة التسيير الإداري للنظام التربوي، ثم وظيفة ممارسي الفعل التربوي وبناء عليه، ميز G.Mialaret بين ثلاث فئات من علوم التربية، هي :

أ)– العلوم المهتمة بمكونات الوضعية التربوية وجوانبها العامة (كفلسفة التربية، تاريخ التربية، والتربية المقارنة .

ب)– العلوم ذات الصلة بالمقررين والإداريين، والممارسين للفعل التربوي:

– المقررون، يختارون الأسس الفلسفية والغايات والقيم العامة للتربية، باستعمال نتائج علوم الديموغرافيا المدرسية والاقتصاد، والتخطيط التربوي ..

– الإداريون، يستعملون علم النفس وعلم الاجتماع التربويين، وعلم النفس الاجتماعي لتنظيم البنيات المدرسية .

– أما الممارسون أوالمدرسون، فيستعملون علوم النفس والاجتماع، ومناهج وتقنيات التربية، والديدكتيك، لفهم الدورالذي يمكنهم القيام به، خلال الممارسة التربوية، وكذا تحديد وتنظيم المحتوى الدراسي على أساس نظرية بناء البرامج ومعرفة ثم تحليل العملياتالنفسية الملائمة للمادة المدروسة، وكيفية تعلمها ..

ج)– العلوم المتعلقة بالفعل التربوي نفسه : كعلم النفس التربوي، فيزيولوجيا التربية، علم النفس الاجتماعي التربوي، وعلمالتدريس (الديدكتيك) باعتبارها

وسائل تحليل الوضعية التربوية وتغييرها في الوقت نفسه .. ومن ذلك على سبيل المثال أن النتائج التي يتوصل إليها علم النفس التربوي حول تأثير التعب على الانتباه، يمكن أن يستثمرها المدرس(ة) للتقليل من التعب الذي يعانيه التلاميذ(ت) خلال خضوعهم للمادة المدرسة ...

4-(-31 مقارنة واستنتاج أبرز ملاحظة نسجلها في هذا التصنيف، على مستوى فئته الثانية، في شطرها المتعلق بالممارسة التربوية هي، حضورعلم التدريس(الديدكتيك) بالمقارنة مع التصنيفات السابقة التي اقترحها (1969G.Mialaret)، حيث اعتبره أحد علوم التربية المؤثرة في الفعل

العلوم المهتمة بمكونات الوضعية التربوية وجوانبها العامة	العلوم ذات الصلة ب:			العلوم المتعلقة بالفعل التربوي نفسه
	المقررين	الإداريين	المدرسين	
- فلسفة التربية	الديموغرافية المدرسية الاقتصاد التربوي التخطيط التربوي	علم النفس التربوي علم الاجتماع التربوي الإدارة التربوية	علم النفس علم الاجتماع مناهج وتقنيات التربية الديدكتيك العامة و الخاصة	- علم النفس التربوي - فيزيولوجيا التربية - علم النفس الاجتماعي التربوي
- تاريخ التربية				
- التربية المقارنة				

التربوي والمغيرة له؛ خلافا للتصور الذي كان سائدا في الأدبيات الفرنسية التي لم تكن تعترف بهذا العلم كعلم مستقل من علوم التربية، معتبرة إياه من قبيل التربية الخاصة المنحصرة في تدريس المواد.. وعلى العكس من هذا، أصبح للديد كتيك أهمية كبرى ضمن التصنيفات الحديثة، على اعتبار أنه يشكل أساس فهم وتنفيذ المدرس للدور المنوط به أثناء الممارسة التعليمية... كما يلاحظ، على مستوى المعايير المعتمدة في هذا التصنيف، بعدها البراغماتي المتمثل في استثمار نتائج البحث العلمي لخدمة المؤسسة التعليمية، وكذا النظر إلى ما تقوم به مكونات هذه المؤسسة من أدوارو وظائف يتم تفعيلهاعن طريق الاستعانة بنتائج علوم التربية ككل .. وبالتالي، نعتبر العلاقات القائمة بين هذه العلوم التربوية داخل بنية هذا التصنيف علاقات تماسك وتظافر، لأنها تصب جميعها في خدمة موضوع واحد هو تطوير الفعل التربوي بصفة عامة ..

5 -إشكال العلاقة بين علوم التربية Relation

- لقد احتاجت التربية الى التكامل مع الفلسفة لتحديد قيم وغايات العملية التربة

مما أفرز مايعرف اليوم ب: «فلسفة التربية»، وتعني: «ذلك النشاط الفكري المنظم الذيي تخذ الفلسفة العامة وسيلة لتنظيم العملية التربوية وتنسيقها، والعمل على انسجامها، ثم توضيح القيم والاهداف التي تسعىالى تحقيقها...»[7]، وفي هذا الاطار، فهي تؤدي وظائف مختلفة تتمثل في توضيح المفاهيم والمشكلات التربوية، ومساعدتنا علىاتخاذ قرار تتحقيق أهداف وغايات التربية بدقة وفعالية؛ كما تؤدي وظيفة اجتماعية ببحثها في مشكلات المجتمع وقيمه وفلسفته من وجهة نظر تربوية.. وبالتالي، فالعلاقة بينهما تقوم على التفاعل والتكامل.

-وبما أن التربية تتم في أوساط اجتماعية مختلفة كالاسرة، المؤسسة التعليمية، ومراكز التكوين والتأهيل، فقد استفادت من نتائج دراسة علم الاجتماع للانشطة والتنظيمات الاجتماعية، وديناميةالجماعة داخل المؤسسات التيت تكون من أفراد متفاعلين، مما أفرزما يعرف اليوم ب:«سوسيولوجيا التربية».

-واستثمرت التربية كذلك، نتائج ومناهج علم ا لنفس من أجل تحديد خصائص وسماتهؤلاءالافراد، وتفسير سلوكهم الشعوري واللاشعوري، ومراحل نمو شخصياتهم، قصد تمكين المؤسسات الاجتماعية التعليمية من الاختيار السليم للطرق والمناهج والبرامج المناسبة.. ضمنما يعرف ب: «علم النفس التربوي»

- هذا، وقد أفاد الالمام بنتائج الاحداث التاريخيةالماضية وتطورهافي معرفة أصول المشكلات التربوية الموروثة من الأسلاف واقتراح حلول لما يماثلها في الوقت الحاضر من مشكلات، ثم التنبؤ بمستقبل يخلو من مثيلاتها، علىأساسا عتماد الطرق والاساليب الوقائية.. وهو مايعرف اليومب: «تاريخ التربية»

- وبما أنالافراد على ارتباط بالدوة من حيث الانتماء والحقوق والواجبات، فان النظام السياسي للمجتمع ديموقراطيا كان، أواشتراكيا، أو رأسماليا، أوغيره، يجعل التربية متأثرة بأفكاره وقيمه.. مما يترتب عنه نشرها داخله، وترسيخها في عقول أفراده، على اعتبارأن طبيعة النظام السياسي هي الموجه الأساسلهم.. وهنا تكمن العلاقة التلازمية بين «التربية وعلم السياسة»..

- أما «علاقة التربية بعلم الاقتصاد»، فتكمن في اعتبار أفراد المجتمعهم رأسماله، اذ عن طريق تنمية قدراتهم ومهاراتهم المختلفة تتاح لهم بعد ذلك، امكانات العمل والانتاج، كل حسب مؤهلاته.. ويؤدي المجتمع وظيفة أساسية في تحقيق ذلك؛ اذ كلمازاد انفاقه على تعليم أبنائه وفق استراتيجية تنموية محكمة، وكلما ارتفعت النسبة المائوية المخصصة من أموال الدولة للبحث العلمي والتربوي زاد تمردودية التعليم وجودته...

- وتحتاج التربية أيضاالىالاستفادةمن» الانتروبولوجيا»(علم الانسان)، أيمن نتائج دراستها العلمي للانسان باعتباره كائنا

ثقافيا، اجتماعيا، وحضاريا، عبر أشكال الثقافة وأبنية المجتمعات البشرية ككل.

- كماأفادت التربية من «البيولوجيا» (علم الحياة) نتائجها المتعلقة بدراسة الانسان ككائن حي، له تركيب وصفات وطرق عيش يمارسها داخل وسطه البيئي من أجل التكيف معهذ االوسط وطبيعة نموه العضوي...

وبصفة عامة، مازالت التربية تنفتح علىعلوم انسانية وبحثة جديدة، قصد استثمار نتائجها ومناهجها في حل المشكلات التربوية المتزايدة...

6)-إشكال العلمية Scientificité

أن تتصف معرفة ما بالعلمية معناه أن تكون خاضعة لمقاييس العلم الصارمة على مستويات الموضوع، المنهج، والجهاز المفاهيمي؛ وأن تتحقق في هذه المعرفة معايير المصداقية والشرعية، ودقة التفسير العلمي المتوصل اليه عبر تطبيق خطوات الملاحظة، وضع الفرضيات، التجربة، والاستنتاج.. اذا كان هذا ينطبق على العلوم الدقيقة، لان موضوعها هو الافعال أو الوقائع Faits وليس القيم والغايات، فما مدى علمية علوم التربية ؟ لقد أثير هذا السؤالالابستمولوجي منذ القديم مع عالم الاجتماع الفرنسي E.Durkheim في كتابه : «البيداغوجيا وعلم الاجتماع»، حين نفى أن تكون البيداغوجيا علما للتربية .. وأكد على امكانية قيام هذا الاخير، أي بناء معرفة علمية تتخذ من التربية موضوعا لها، عن طريق البحث في أسباب الظاهرة التربوية المدروسة واخضاعها للمقاييس العلمية[8] ومنذ بداية الستينات من القرن الماضي، تشكك الباحثون في مدى الشرعية العلمية لعلوم التربية، نظرا لما تتميز به من تعددية وتباين على مستوى المناهج والاساليب والمفاهيم، التي تستمدها من غيرها من العلوم الانسانية والبحثة، خاصة علم النفس ، علم الاجتماع، البيولوجيا، الفلسفة، والتاريخ من جهة ؛ ونظرا لما يطبع موضوع التربية بصفة عامة، من صعوبة علمية نابعة من كونها ميدان ا للقيم والغايات من جهة ثانية... وترجع أسباب التشكك في مدى علمية علوم التربية بشكل عام، الى عاملين أساسيين اثنين، هما:

أ)- يصعب التحكم في التربية كمما رسة عملية انطلاقا من علوم التربية، لأن التربية فن أو صناعة تكونت من مجموع التجارب الانسانية المكتسبة، ومن المهارات الموروثة.. وبالتالي، فهي ليست تقنية بالمعنى العلمي الدقيق للكلمة، بل هي ممارسة تستهدف تحقيق غايات وقيم..

ب)- يصعب اعطاء وصف وتفسير علمي دقيق لموضوع علوم التربية بواسطة أدوات وأساليب العلوم البحثة، لأن هذا الموضوع متعلق بالقيم والغايات، وليس عبارة عن أفعالFaits يستقل فيها موضوع المعرفة عن الذات العارفة ،كما هو الشأن في البيولوجيا والفيزياء مثلا [9]: - فلكي يتوصل علم البيولوجيا الى حقيقة الكائنات الحية، درس

الخلية Cellule كموضوع معزول عن الذات العارفة، كما توصل علم الكيمياء الى حقيقة المادة بعزل موضوع الذرة، واستطاع علم الفيزياء أن يتوصل الى قوانين الحركة باعتبار الاجسام المتحركة موضوعا له.. وبهذا المعنى، يتبين مدى الاختلاف بين التربية كفرع من العلوم الانسانية، والعلوم الدقيقة على مستوى التحكم العملي في الموضوع، الوسيلة، المنهج، والجهاز المفاهيمي..

ورغم هذا، كانت علوم: النفس، الاجتماع، البيولوجيا، والانتربولوجيا من العلوم الاولى التي أفادت ميدان التربية على مستوى تطبيق مراحل المنهج العلمي، لكن بما يتناسب مع التربية كعلم من العلوم الانسانية، حيث طبق الدارسون على الظاهرة التربوية قاعدة الملاحظة العلميةبأ نواعها المختلفة (المبا شرة، المنظمة، الموضوعية، وغيرها...)، كما حصروا بعض المشكلات التربوية والتعليمية، وعملوا على وضع فرضيات أوأجوبة مؤقتة لها، واتبعوا خطوات المنهج التجريبي من أجلرصد المتغيرات المستقلة والتابعة لهذه المشكلات، قصد الوصول الى استنتاجات عامة تنطبق على مثيلاتها ؛ الا أن أهم الصعوبات التي ظلت تلازمهم هي عدم التمكن من العزل الكلي (التام) للانسان كموضوع عن الذات العارفة (تجربة الباحث وشخصيته)، كما تمكنت من ذلك مختلف البحوث العلوم البحثة.. وعدم قدرة علماء التربية على التحكم في الظاهرة التربوية المتشعبة الابعاد، التي توجب اعتماد مقاربات متنوعة ومختلفة لتشخيصها وتحليلها، ثم تفسيرها تبعالتنوع واختلاف أبعاد الانسان، الذي هو موضوعها وهدفها. وبالتالي، فان التربية، أثناء تطبيقها للقواعد العلمية الاربعة، لا ترقى الىد رجة الصرامة rigueur والدقة والضبط، التي تجعلها علما بمعنى العلوم البحثة، مما يميز مناهجها بالطابع العلمي المتغير والطامح دوما الى مزيد من الموضوعية العلمية.. وهذا ما يدفع التربية الى الانفتاح على علوم مختلفة حديثة، بهدفتمثين وتطوير علاقات التكامل معها سعيا وراء تحقيق العقلنة والعلمية للميدان التربوي ككل...

المراجع والمقالات المعتمدة

1) - Gaston;Mialaret (2006): «Sciences de leducation ; Aspects historiques.Problémes épistémologiques « . 1édit . Quadrige . Puf . France

2003); «Comprendre les sciences de l éducation» . édit Harmattan . collection : (Gilbert Tsafak-2)

Education et sociétés . p:61 et suivantes.

3) - Article d Alain Kerlan (2010);» Epistémologie des sciences de l éducation: Réfléxions sur la sciencificité des sciences de l éducation « . Université Lumiére ; Lyon; France .

4) – د، محمد الدريج (1990)، « التدريس الهادف «، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، (بتصرف) 5) – (Ibid (G; Tsafak 2003)

6) – المرجع نفسه : د، محمد الدريج (1990)

– (7ذ، بنعيسىاحسينات، في مقاله بعنوان : « لماذا فلسفة التربية ؟ »

8) – Emile Durkheim (1911) : «Pédagogie et sociologie»p:93

9) Ibid Alain Kerlan (2010)